

الكتاب الاندلسيون

مِيزَةُ النَثْرِ

تأثر الاندلسيين بالمشاركة . مجاراتهم إيانهم في سائر الفنون .

تأثر اهل الاندلس المشرقيين في النثر، كما تأثروهم في الشعر، فترسموا خطهم في اساليب الانشاء، والوان التعبير، وجاروهم في نظام الدواوين، واستيزار الكتاب والشعراء، وتعددت اغراضهم وفنونهم، تعددها عند اولئك . فمنها الترسل على ضروبه . ومنها انشاء الكتب المصنفة في العلم والادب . ومنها الانشاء الخطابي، وهو اضعف الفنون لضعف الفصاحة الفطرية عندهم .

الترسل

اصحابه وزراء، ومقربون من رجال احكام . تنوره من المطبوع الى المصنوع . غبة الصناعة عليه . جناء معنيه . اغراض الترسل .

ارتفع شأن الترسل في الاندلس ، كما ارتفع في الشرق ، لان الذين تعهدوه كانوا اما وزراء ، واما مقربين الى ولاة الامور . فعززوا هذا الفن ، ونشروا لواءه ، وصاروا به الى التتميق والتزيين . وكان تطوره عندهم يجري على سنن تطوره في الشرق ، فهو في عصوره الأول ، مرسل مطبوع ، لا يلتزم فيه سجع ، ولا يتكلف فيه توشية ، وانما هي البلاغة تقضي بعض الاحيان بان يسجعوا ويوشوا دون انتقاص في الطبع ، ولا ازراء بالمعنى ، ولنا في رسائل ابن زيدون ، وابن شهيد ، صور واضحة للنثر الترسلي في ابان ازدهاره . فهو اشبه شي . بنثر ابن المقفع والجاحظ وامثالهما من بلغاء الكتاب المطبوعين . ثم صار الترسل الى تكلف السجع والتزيين ، وتقليب الجمل على المعنى الواحد ، والاكثر من الأدعية والامثال ، والشواهد الشعرية ، ولكن على غير افساد في الذوق ، او اهمال للمعنى ، كما في رسائل ابن برد الاصغر^(١) وابن عبدون ، وابن خفاجة ، وابن الحداد . وهو اشبه بترسل العباسيين في العصر الثالث والرابع .

وما آذن القرن السادس للهجرة بالافول حتى غلبت الصناعة على الفن ، واتسعت دائرة التكلف ، فاذا الانشاء في القرن السابع والثامن عبارات مرصوفة ، والفاظ مترادفة مملدة ، وتلميحات تاريخية وبيانية لاحد لها ، ومعانٍ جافية تافهة ، وصور شتى من المسجوع والمورتي والمتجانس ، مما تجد له امثلة في رسائل ابن الخطيب واشباه ابن الخطيب .

(١) هو ابو حفص الاصغر احمد بن برد ، شاعر ، كاتب ، حسن الديباجة ؛ عاش زمن الدولة العمارية في قرطبة .

وتناولوا في ترسلهم الاخوانيات على انواعها، والمقدمات بعد ظهورها في المشرق، ومقدمات الكتب، وشتى الاوصاف والنعوت، ولكنها لم تحل من مجون وتعهر. واحسنها ما جاء في ذكر الطبيعة، والكلام على مناظرة الازهار والبلدان، فإتهم ابدعوا في هذا الفن، وانفردوا به دون سواهم .

واليك امثلة من نثرهم على اختلاف العصور، ففيها بيان لانواع الترسل، وتطوره بين عهد وآخر . فمنها رسالة ابن زيدون الجدية، ورسالته الهزلية . والاولى كتبها وهو مسجون الى ابن جهور، صاحب قرطبة، يستعطفه . والثانية كتبها على لسان ولادة الى الوزير ابن عبدوس منافسه في حياها، يهجوها ويتهمكم به . قال من رسالته الجدية :

« هَذَا الْعُتْبُ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ، وَهَذِهِ النَّبُوءَةُ ^(١) غَمْرَةٌ ^(٢) تُثَمُّ تَنْجَلِي . وَهَذِهِ النَّكْبَةُ : « سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ . « وَلَنْ يُرِيْبِنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ أَبْطَأُ سَيْبُهُ ^(٣) أَوْ تَأَخَّرَ ، غَيْرَ ضَيْنٍ ، غَنَاوُهُ ^(٤) . فَأَبْطَأُ الدِّلَاءَ فَيَضًا أَمْلُوْهَا ^(٥) ، وَأَثْقَلُ السَّحَابِ مَشِيًا أَحْفَلَهَا ^(٦) . وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَادَفَ جَدْبًا ^(٧) ، وَالذُّ السَّرَابِ مَا أَصَابَ غَلِيْلًا ^(٨) . وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَكُلُّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، لَهُ الْحَنْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ ^(٩) ، وَلَا عُتْبَ عَلَيْهِ فِي إِغْتِنَالِهِ :

فَإِنْ يَكُنْ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ ، وَإِحْدَا ، فَأَفْعَالُهُ اللَّارِي سَرَرْنَ ، أَلُوفُ

وقال من رسالته الهزلية ، وقد التزم السجع في اكثرها، ولكنه سجع لا يفسد الطبع :

« أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا الْمُصَابُ بِعَقْلِهِ ، الْمُرَوِّطُ بِجَهْلِهِ ^(١٠) ، الْبَيْنُ سَقَطُهُ ، الْفَاحِشُ

(١) النبوة : الجفاء . (٢) الغمرة : الشدة . (٣) سيبه : عطاؤه . (٤) غناؤه : نفعه . (٥) لان الدلو اذا تدفق عليها الماء بقوة وملاها سريعاً فاضت بقوة وتقصت ، واما اذا فاضت بطيئة كانت أحفل ، لانها عتلت على مهل . او لان الدلو اذا انزلت الى البئر ، وكان فيها عند اصعادها بطيئاً تلقاها المتاح املاً مما لو تذبذبت بين جدران البئر وتدفت . (٦) احفلها : املوها . (٧) الحيا : المطر . الجذب : القحط والمحل . (٨) الغليل : حر الظلم . (٩) اهتباله : اغتنامه . اي اغتنام اجله . (١٠) المورط : المورط في الورطة وهي الامر الشاق يمرر التخلص منه .

غَلَطَهُ ، الْعَاثِرُ فِي ذَيْلِ اغْتِرَارِهِ . الْأَعْمَى عَنْ شَنْسِ نَهَارِهِ . السَّاقِطُ سُقُوطَ الذُّبَابِ عَلَى الشَّرَابِ ، الْمُتَهَيِّفُ تَهَيِّفَاتِ الْفَرَّاشِ عَلَى الشَّهَابِ . فَإِنَّ الْعُجْبَ أَكْذَبُ ، وَمَعْرِفَةَ الْمَرَّةِ نَفْسَهُ أَصَوَّبُ . وَإِنَّكَ رَأَسْتَنِي مُسْتَهْدِيًا^(١) مِنْ صِلَتِي^(٢) مَا صَفَرْتَ مِنْهُ أَيْدِي أَمْثَالِكَ . مُتَّصِدِيًا مِنْ خُلَّتِي^(٣) لِمَا قَوَّعْتُ دُونَهُ أُثُوفَ أَشْكَالِكَ .

ومنها رسالة ابي عامر بن شهيد في صفة بعوضة ، وله الباع الطويل في الوصف

والتصوير :

« الْبَعُوضَةُ مَالِكَةٌ ، لَا حِسَّ لَهَا سِوَاهَا^(٤) ، تَحْقِرُهَا عَيْنُ مَنْ يَرَاهَا ، تَسْبِي إِلَى الْمَلِكِ بِنْدِيهَا^(٥) ، وَتَضْرِبُ فِي بُجُوحَةٍ^(٦) دَارِهِ بِطَبْلِهَا ، تُؤْذِيهِ بِإِقْبَالِهَا ، وَتُعْرِفُهُ بِإِرَاقَةِ دَمِهِ مَا لَهَا . فَتُعْجِزُ كَفَّهُ ، وَتَرْغَمُ أَنْفَهُ ، وَتُضْرَجُ حُدَّهُ ، وَتَفْرِي لِحْمَهُ وَجِلْدَهُ . زَمَجَرْتَهَا تَسْلِيمُهَا ، وَرَمَجَهَا خُرُطُومُهَا ، تُذَلِّلُ صَعْبَكَ إِنْ كُنْتَ ذَا قُوَّةٍ وَعِزْمٍ ، وَتَسْفِكُ دَمَكَ وَإِنْ كُنْتَ ذَا حَافِئٍ^(٧) وَعَسْكَرٍ ضَخْمٍ . تَنْقُضُ^(٨) الْغَزَائِمَ وَهِيَ مَنْقُوضَةٌ ، وَتُعْجِزُ الْقَوِيَّ وَهِيَ بَعُوضَةٌ ، إِيْرِينَا اللَّهُ عَجَابَ قُدْرَتِهِ ، وَضَعْنَا عَنْ أضعفِ خَائِفَتِهِ . »

ومنها ما كتبه ابن برد الاصغر في المناظرة بين الازهار ، مبتدعاً فنناً جديداً، اسلوبه قصصي، وخياله لطيف . فقد اراد ان يفضل الورد على سائر الازهار فانطقها وجعلها تجتمع وتتحدث، وتبايعه بالرياسة . ودونك بعض ما جاء في المبايعه :

« ثُمَّ قَامَ الْخَيْرِيُّ^(٩) فَقَالَ : وَالَّذِي أَعْطَاهُ الْفَضْلَ دُونِي ، وَمَدَّ لَهُ بِالْبَيْعَةِ يَمِينِي ، مَا أَجْتَرَأْتُ قَطُّ إِجْلَالَ لَهُ ، وَأَسْتَحْيَاهُ مِنْهُ عَلَى أَنْ أَتَنْفَسَ نَهَارًا ، أَوْ أُسَاعِدَ فِي لَذَّةِ صَدِيقًا أَوْ جَارًا ، فَلِذَلِكَ جَعَلْتُ اللَّيْلَ سِتْرًا . »

(١) مستهدياً : طالباً هدية . (٢) صلتى : جاترتى . (٣) خلتي : صداقتى . (٤) لا حس لها سواها : اي مع انها ذات ملك، لا صوت لها الا منها . (٥) بندجا : بصوحا ودعائها . (٦) مجوحه : وسط . (٧) الحائف : العهد بين والقوم، والصداقة . (٨) تنقض : تخدم وتحل وتكسر . (٩) الخيرى : المنثور الاصغر .

ومنها ما كتبه ابن خفاجة في وصف نزهة، وهو يلتزم السجع والصناعة، ولكن

بلاغته لا تنحط :

« ذَهَبْتُ فِي لَمَّةٍ ^(١) مِنَ الْإِخْوَانِ نَسْتَقِي إِلَى الرَّاحَةِ رَكْضًا، وَنَطْوِي التَّفْرِجَ ^(٢)
أَرْضًا . فَلَا تُدْفَعُ إِلَّا إِلَى عَدِيرٍ نَمِيرٍ ^(٣) ، قَدْ اسْتَدَارَتْ مِنْهُ فِي كُلِّ قَرَارَةٍ ^(٤)
سَمَاءٌ ^(٥) ، سَخَائِبُهَا غَمَاءٌ ^(٦) ، وَأَنْسَابٌ فِي كُلِّ تَلَعَةٍ حُبَابٌ ^(٧) ، جِلْدُهُ حَبَابٌ ^(٨) ،
فَرَدَدْنَا بِبِتْلِكَ الْأَبْطِاحِ ^(٩) نَتَهَادِي ^(١٠) تَهَادِي أَغْصَانِهَا ، وَنَتَضَاحُكَ تَضَاحِكَ
أَفْجُونِهَا . وَرَلِّسِيمٍ ، أَثْنَاءَ ذَلِكَ الْمُنْظَرِ الْوَيْسِيمِ ، تَرَأْسُ وَشِي ، عَلَى بَسَاطٍ وَشِي ^(١١) .
فَإِذَا مَرَّ بِعَدِيرٍ نَسَجَهُ دِرْعًا ^(١٢) وَأَحْكَمَهُ صُنْعًا . وَإِنْ عَثَرَ بِجَدْوَلٍ شَطْبٍ ^(١٣) مِنْهُ نَضْلًا ،
وَأَخْلَصَهُ صَقْلًا ، فَلَا تَرَى إِلَّا بِطَاحًا ^(١٤) ، مَمْلُوءَةً سِلَاحًا ، كَأَنَّمَا أَنْهَزَمَتْ هُنَالِكَ
كِتَابٌ فَأَلْقَتْ بِمَا لَيْسَتْهُ مِنْ دِرْعٍ مَضْجُولٍ ، وَسَيْفٍ مَسْئُولٍ . »

ومنها رسائل ابن الخطيب ومقاماته، وهي مملوءة في أكثرها لطولها وتكلفها،
وجفافها، وغلبة الصناعة عليها . مثال ذلك قوله من رسالة :

« سَيْدِي الَّذِي هُوَ فَضْلُ جِنْسِهِ ^(١٥) ، وَمَزِيَّةُ يَوْمِهِ عَلَى أَمْسِهِ ، فَإِنْ أَفْتَحَرَ الدِّينُ

(١) اللمة : الصاحب في السفر للواحد والجمع . (٢) التفرج : تكشف الغم .
(٣) غير : ماء ناجع عذباً كان أو غير عذب . (٤) القرارة : القاع المستدير يجتمع فيه ماء
المطر . (٥) سماء : استخدم هنا معناها المجازي في قوله استدارت، وهو المطر، ومعناها الحقيقي في
قوله سخائيبها غماء . (٦) غماء : لا فرجة فيها . (٧) التلعة : ما ارتفع من الأرض . الحباب : الحية
وهو هنا مستعار للجداول والنهر . (٨) الحباب : نقاخات الماء . (٩) الأباطح : جمع ابطح
وهو المسيل الواسع العريض فيه دقاق الحصى . (١٠) نتهادي : تتأيل (١١) الوشي الأول بمعنى
الوشاية، والوشي الثاني بمعنى التوشية ويريد به الزهر . (١٢) قوله نسجه درعاً : اخذه من قول
الشاعر :

نَسَجَ الرِّيحُ عَلَى الْمَاءِ زَرْدًا ، يَا لَهُ دِرْعًا مَنِيعًا لَوْ جَمَدَ

(١٣) شطب : أي جعل فيها خطوطاً كخطوط نصل السيف . (١٤) البطاح : جمع بطحاء،
وهي المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . (١٥) فصل جنسه : هذا من كلام المنطقة في التعريف
باخذ الحقيقي، وهو تعيين الشيء . يجنسه وفصله . تقول : الإنسان حيوان ناطق، فالحيوان
جنس يشمل الإنسان والبهيمة، والناطق فصل يميز نوع الإنسان عن نوع البهيمة . وهنا ابن
الخطيب يجعل ممدوحه الفصل بين الإنسان والبهيمة، أي أنه جعله النطق نفسه .

مِنْ أَبِيكَ بِبَدْرِهِ^(١) أَفْتَحَرَ مِنْكَ بِشَمْسِهِ . رَحَلْتُ عَنِ النَّشْأِ وَالْقَرَارَةِ ، وَمَحَلَّ
 الصَّبُورَةَ وَالْقَرَارَةَ^(٢) ، فَلَمْ تَتَّعَلِقْ نَفْسِي بِذَخِيرَةٍ ، وَلَا عَهْدِ حَيْرَةٍ خَيْرَةٍ ، كَتَّعَلِقَهَا
 بِتِلْكَ الذَّاتِ الَّتِي لَطَفَتْ لَطَافَةَ الرِّيحِ ، وَأَسْتَمَلَتْ بِالمَجْدِ الصُّرَاحِ^(٣) ، سَفَقَتْ أَنْ
 تُصِيبَهَا مَعْرَةٌ^(٤) ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقِيهَا ، وَيَحْفَظُهَا وَيُنْقِيهَا . إِذِ الْفَضَائِلُ فِي الْأَرْزَامِ
 الرَّذَالَةِ غَوَائِلُ ، وَالضُّدُّ عَنْ ضِدِّهِ مُنْحَرِفٌ بِالطَّبَعِ وَمَائِلٌ^(٥) .

(١) بدر : اسم والد المدوح . (٢) القرارة : المستقر . الصبورة : جهلة الفتوة .
 القرارة : الغفلة عن الامور . (٣) الصُّرَاح : الخالص من كل شيء . (٤) معرّة : اذية .
 (٥) يقول : الفضائل تغتال اصحابها في الايام الرديئة الخسيسة ، لان أكثر الناس اذبال ،
 فاذا رأوا فاضلاً كرهوه وانحرفوا عنه لمضادته لهم .

التصنيف والتصنيفون

تعزيز انواع العلوم . استنساخ الكتب .

قام التصنيف الى جانب الترسيل، فلم يترك الاندلسيون علماً او فناً ظهر في المشرق الا وقد بحثوا فيه، ونالوا قسطاً منه، قل او كثير . وكان لرحلاتهم الى الشرق ورحلات المشرقيين اليهم، وتنافس ملوكهم في تعزيز العلوم، واستقدام العلماء واستنساخ الكتب، وانشاء المدارس والمكاتب،^(١) اثر كبير في بث النهضة العلمية بصقع الاندلس .

وتباينت درجات انشائهم بتباين اغراض مصنفاتهم، وكانت الادبية ارقاها لغة، واصفاها فناً . ولم يسلم بعضها من صناعة التزيين والتزام السجع كالذخيرة لابن بسام، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان .

(١) لم تكن تخلو قرية في الاندلس من مدرسة صغيرة، ما عدا كبريات المدارس في المدن . وكان للطب اربع مدارس في قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية، يوتها التلاميذ على اختلاف ملهم ونحلهم . وبلغ عدد المكاتب نحو ستين مكتبة اعظمها مكتبة قرطبة، وقد اتينا على ذكرها في الملحة التاريخية .

علوم اللغة

المعاجم . الصرف والنحو . الشروح النحوية .

كثُر المشتغلون باللغة من الاندلسيين والمشرقيين الذين هاجروا الى الاندلس، فتركوا طائفة نفيسة من المعاجم والشروح النحوية، وكتب الصرف والنحو؛ واشتهر منهم ابو علي الغالي^(١) صاحب الأمل في اللغة والنوادر؛ وابو بكر الزبيدي^(٢) وله مختصر العين، وحن العامة، والواضح في اللغة، وطبقات النحويين، والابنية في النحو؛ وابن سيده^(٣) وله المحكم في اللغة، وهو معجم مشهور، في اجزاء عدة؛ والمخصص وهو في سبعة عشر مجلداً، مرتب على معاني اللفظ كفقاه اللغة والالفاظ الكتابية . ومنهم الأعلَمُ الشَّنْتَمَرِيُّ^(٤) وله شرح الجمل في النحو للزجاجي، وشرح ديوان المتنبي، وديوان زهير، والشعراء الستة . وابن خروف^(٥) وله شرح كتاب سيوريه، وكتاب الجمل للزجاجي . والشريشي^(٦) وله شروح ثلاثة لمقامات الحريري، شرح كبير ووسط وصغير . وهناك غيرهم كثيرون .

(١) قدم ابو علي الغالي من الشرق الى الاندلس في زمن عبد الرحمن الناصر سنة ٨٣٣٠ .
 (٢) (٩٤١ م) واستوطن قرطبة وألف امليه للحكم بن الناصر، ومات بقرطبة سنة ٨٣٥٦ .
 (٣) (٩٦٦ م) وكانت ولادته بمنارك من ديار بكر سنة ٢٨٨ هـ . (٩٠٠ م) . (٢) كان ابو بكر محمد الزبيدي مؤدباً لشمس المويد بن الحكم؛ سكن في قرطبة، واصله من اشبيلية وتوفي بها سنة ٨٣٧٩ . (٩٨٩ م) وعاش ثلاثاً وستين سنة . (٣) هو ابو الحسن علي بن احمد المعروف بابن سيده من اهل مرسية؛ وكان اعمى، وكان اعلم الناس بالغريب . توفي سنة ٤٥٨ هـ . (١٠٦٥ م) وعمره نحو الستين . (٤) هو ابو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالاعلم لانه كان مشقوق الشفة العليا . ولد في شنتَمَرِيَّة من بلاد الاندلس سنة ٤١٠ هـ . (١٠١٩ م) واليها نسب، ورحل الى قرطبة، وكف بصره في آخر حياته . ومات باشبيلية سنة ٤٧٦ هـ . (١٠٨٣ م) . (٥) ابن خروف هو ابو الحسن علي بن محمد الحضرمي الاشبيلي توفي سنة ٦١٠ هـ . (١٢١٣ م) . (٦) هو الكمال ابو العباس احمد من اهل شريش في الاندلس واليها نسب . اقام في بلنسية ثم رحل الى اشبيلية فالشرق، ثم رجع الى شريش ومات بها سنة ٦١٩ هـ . (١٢٢٢ م) وكانت ولادته سنة ٥٥٧ هـ . (١١٦١ م) .

العلوم الدخيلة

العلوم الطبيعية . العلوم الرياضية . الفلسفة والمنطق .
السياسة والاجتماع . التاريخ والجغرافية . الفنون والصنائع .

رحلت العلوم الدخيلة من الشرق الى الغرب، فتلقاها الاندلسيون اما من علماء المشاركة، واما من كتبهم، فكانت لهم ثم للاوربيين من بعدهم نورا وهدى . فلما تفقوا بها، واختمرت في صدورهم، وامتزجت بافكارهم، تصدروا للتصنيف فيها، والتزيد من لبانها، حتى فاقوا المشرقين في بعضها .

العلوم الطبيعية

ففيها العلوم الطبيعية كالطب والصيدلة، فقد اشتهر فيها طائفة جليلة كابي القاسم الزهراوي^(١) وكان بارعاً في تشخيص الامراض موقفاً في علاجها، وامتاز من اطباء الشرق المسلمين بتعاطيه الجراحة، واتقانه ايها، في حين ان المشرقين كانوا يتحامون عنها ذهاباً منهم الى ان الدين يحرمها . فكان اطباؤهم لا يعرفون صفات اعضاء الانسان الا من مطالعتهم لكتب يونان . فاحيا اطباء الاندلس هذا الفن وعلى رأسهم ابو القاسم؛ وكان ماهراً في بتر الاعضاء . واستخراج الاجسام التي تُبتلع فتعترض في الحلق . وله كتاب اسمه التصريف لمن عجز عن التأليف، جعله على قسمين الاول في الطب النظري، والثاني في الطب العملي او الجراحة، ترجم الى اللاتينية، واهتم اطباء الفرنجة بقسمه الجراحي .

ونبع في الطب من الاندلسيين ابناء زُهر^(٢)، وهم اسرة عربية توارثت علم

(١) هو ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي منسوب الى الزهراء في الاندلس ويسميه الفرنجة (Albucasis) توفي سنة ٥٥٠ هـ . (١١٠٦ م) . (٢) عرف منهم بالطب ابو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر الإيادي؛ رحل الى الشرق فتطيب زمناً ثم عاد الى الاندلس

الطب خلفاً عن سلف كما توارثه ابناء بختيشوع في العراق .
 واحترف الطب اشهر فلاسفة الاندلس كابن باجة، وابن طفيل^(١) وابن رشد^(٢) .
 واشتهر في علم النبات والعقاقير والادوية ابن البيطار^(٣) وله كتاب الجامع لمفردات
 الادوية والاعذية .

العلوم الرياضية

ومنها العلوم الرياضية، فقد نبغ طائفة كبيرة في علم الحساب والهندسة والنجوم
 والموسيقى . وكان حظ التنجيم كحظ الفلسفة، فان اصحابه اضهدوا ورموا بالزندقة،
 فصاروا يشتغلون به سرا، ولا يتظاهرون . ويذكر صاحب نفح الطيب ان اول
 من اشتهر في الاندلس بعلم الحساب والنجوم ابو عبيدة مسلم بن احمد المعروف
 بصاحب القبلة، لانه كان يُشَرِّق في صلاته، وكان عالماً بحركات الكواكب واحكامها .
 ومنهم ابو القاسم اصبع بن السمع وكان بارعاً في علم النجوم والهندسة، وله كتاب
 المدخل في الهندسة، وكتاب كبير في الهندسة، وكتابان في الاسطرلاب، وزيج^(٤)

ومات باشبيلية، فقام بعده ابنه ابو العلاء زهر بن عبد الملك، وله كتاب الادوية . توفي سنة
 ٥٢٥ هـ . (١١٣٠ م) . وخلفه ابنه ابو مروان عبد الملك بن زهر، وكان متصلاً بعبد المؤمن
 خليفة الموحدين، وله مؤلفات عدة . وجاء بعده ولده ابو بكر محمد بن عبد الملك المشهور
 بعلمه وادبه وموشحاته . وكانت اخته وابنتها عالمتين بطب النساء . ونبغ بعده ولده ابو محمد
 عبدالله، وحظي عند الخليفة الناصر محمد بن يعقوب رابع خلفاء الموحدين، وتوفي مسموماً كآبيه
 سنة ٥١٩ هـ . (١١٢٥ م) وهو في الخامسة والعشرين، وترك ولدين عني اصغرهما بصناعة الطب،
 واسمه ابو العلاء محمد .

(١) هو ابو بكر محمد بن عبد الملك القيسي، المعروف بابن طفيل، الفينسوف (طبيب) ،
 وصاحب رسالة حي بن يقظان؛ ووزر لابي يعقوب يوسف ثاني الخلفاء الموحدين، وتوفي سنة
 ٥٥٨١ هـ . (١١٨٥ م) . (٢) هو ابوالوليد محمد بن احمد بن رشد ويسميه الفرنجة (Averrhoès) .
 ولد بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ . (١١٢٦ م) واتصل بالخليفة الموحد ابي يعقوب يوسف . وهو اعظم
 فلاسفة الاندلس وفي مقدمة فلاسفة المسلمين، واشهرهم عند الاوربيين، مفكر حر وطبيب بارع؛
 توفي بمرآكش سنة ٥٩٥ هـ . (١١٩٨ م) ونقل الى قرطبة . (٣) هو ضياء الدين محمد بن
 عبدالله بن البيطار النبائي الشهير، ولد بالفاقة ورحل الى الشرق وسكن دمشق حتى مات سنة
 ٦٤٦ هـ . (١٢٤٨ م) . (٤) الزيج : كتاب تعرف منه احوال حركات الكواكب .

على مذهب الهند المعروف بالسند هند . ومنهم ابو القاسم بن الصغّار وكان عالماً بالهندسة والعدد والنجوم، وله زيج مختصر على مذاهب السند هند، وكتاب في عمل الاسطرلاب . ومنهم ابو الحكم عمر الكرماني من اهل قرطبة، وكان راسخاً في علم العدد والهندسة . ومنهم الفيلسوف ابن رشد قيل انه اول من تنبه ناسق^(١) على وجه الشمس، وكتب عنها .

واما الموسيقى فقد نهضت نهضة عظيمة في الاندلس، واقبل عليها عامة الناس وخاصتهم، والفضل في ترقيتها لزياب^(٢)، فانه ترك من اصواته مجراً زاخراً اعترف منه المغنون بعده . قيل ان محفوظاته من الاغاني بلغت عشرة الاف مقطوعة . وكان العود على اربعة اوتار، فزاد فيه وترّاً خامساً، وهو الاوسط الاحمر . وكان مضراجه من الخشب، فجعله من قوادم النسر، وهي الين على الاوتار والطف .

وكان لزياب عشرة اولاد : ثمانية ذكور، وثلثان اثنيان، وكلهم غنى ومارس الصناعة، وابرعهم في الذكور عبيدالله وعبد الرحمن وقاسم، وفي الاناث حمدونة .

(١) النسق : جمع سقعة وهي سواد اشرب حمرة . (٢) هو ابو الحسن علي بن نافع مولى المهدي الخليفة العباسي، فارسي الاصل، وزرياب لقب له غلب عليه في بلاده من اجل سواد لونه مع فصاحة لسانه، تشديهاً له بطائر اسود حسن التفريد عندهم . وكان تلميذاً لاسحق الموصلي ببغداد، غنى بين يدي الرشيد مرة، فاعجب به واحبه، فحسده استاذه اسحق، وهدده ان لم يرحل عن بغداد، واعطاه مالا . فرحل زرياب الى المغرب، ثم سمت همته الى دخول الاندلس وكان عنيا الحكم بن هشام ثالث امراء بني امية . فكتب اليه يستأذنه في الذهاب اليه، ويعلمه بمكاتبه من صناعة الغناء . فسر الحكم بكتابه وارسل اليه يحمل له المواعيد، فعبر زرياب بعبله بحر الزقاق الى الجزيرة الخضراء . فجاءته الاخبار بوفاة الحكم فهم بالرجوع . وكان معه منصور اليهودي المغني رسول الحكم اليه، فقتناه ورغبه في قصد ابنه وخليفته عبد الرحمن الثاني، وكتب اليه بغير زرياب، فجاء جواب عبد الرحمن يظهر رغبته فيه . وكتب الى عماله ان يحسنوا اليه ويوصلوه الى قرطبة . وامر خصياً من خصيائه ان يتلقاه بجمال وآلات حسنة، فدخل الاندلس سنة ٢٠٦ هـ . (٨٢١ م) فاترله عبد الرحمن في دار فخمة وأجرى عليه وعلى اولاده المشاهرات، والعيديات، واقطعه من الضياع واليساتين ما يقوم باربعين الف دينار، وكان يجالس على النبيذ ويسمع غناؤه .

الفيلسوف والمنطق

ومنها الفلسفة والمنطق، فقد تلقاها الاندلسيون عن كتب المشرقيين المنقولة والمصنفة، فانصرف الى دراستها جماعة من المفكرين مستهدفين لنقمة الفقهاء والعامّة . وكان المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الخليفة الاموي معنياً بجمع كتب الحكمة وسائر العلوم، وجاء بعده محمد بن ابي عامر الحاجب المنصور، فشغف بالفلسفة وعزز جانبها، فنقم عليه الفقهاء، وتجهموا، فاسترضاهم بان احرق كل كتاب اتهموه . وما انتصف القرن الخامس للهجرة الا كانت كتب الفارابي وابن سينا ورسائل اخوان الصفاء قد ذاعت في الاندلس وتداولتها الايدي، فنهضت الفلسفة نهضة لا بأس بها، ونبع ابن باجة ابو الفلاسفة الاندلسيين، وله رسالة تديبر المتوحّد، ورسالة الوداع في الترقى الروحاني والاتصال بالعقل الفعّال .

وبلغت الفلسفة اوجها في عهد الموحدين، ولاسيما زمن خلافة ابي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن، فانه فتح ابواب داره للفلاسفة، وقربهم ورفع شأنهم . فكان في بلاطه ابن طفيل صاحب رسالة حي بن يقظان، ثم ابن رشد رأس فلاسفة الاندلس واشهر فلاسفة العرب عند الاوربيين .

وهناك مفكرون دينيون اطلعوا على الفلسفة والمنطق، ووقفوا على مذاهب الفرق الاسلامية، وغير الاسلامية، فاتخذوا فلسفتهم لتأييد مذهب ديني ينتحلونه، كما فعل ابن حزم^(١) وكان في بدء امره شافعيًا، فتعصب لمذهبه، وناضل عنه . ثم صار

(١) هو الفقيه ابو محمد علي بن احمد بن حزم فارسي الاصل، برجع جده الاعلى يزيد ابي بني امية بالولاء . ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ . (٩٩٤ م) وكان والده وزيراً للدولة العامرية التي استبدت بمرش امية وحجرت على الخليفة . وصارت الوزارة اليه بعد والده، فوزر للمستظهر بالله عبد الرحمن الخامس الخليفة الاموي، وزهد بالسياسة بعد زوال الدولة الاموية فانصرف الى العلم . وكان من تعصبه لنظامية وسلطة لسانه ان كرمه الفقهاء وحملوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنه، فاقصاه المنوك، واتخذوا كتبه . قيل انها بلغت اربع مائة مجلد في نحو ثمانين الف ورقة . فذهب الى كورة لبئله في الاندلس، ومكث بها حتى مات سنة ٤٥٦ هـ .

ظاهرياً، فكره جميع المذاهب من اجل مذهبه الجديد، وضمن عليها وندد باصحابها
وشنع على الفرق الاسلامية وسبها، ولم يسلم من شتائم النصارى واليهود وسواهم
من اصحاب الاديان والنحل . و كتابه الفصل^(١)، في الملل، والاهواء والنحل، يريث
من صاحبه علماً واسعاً، وعقلاً راجحاً، وتعصباً ذمياً .

وكان للفلسفة الاندلسية اثر بليغ في الافكار الاوربية ولاسيما فلسفة ابن رشد .

السياسة والاجتماع

ومنها السياسة والاجتماع، واشهر من صنف فيهما ابن حزم وابن ابي رندقة
الطُرطوشي^(٢) . فاما الاول فله كتاب طوق الحمامة في فلسفة الحب وعلاماته وصفاته،
واحوال المحبين وما يعترضهم ويعرض لهم . وفيه بحوث نفسية لا بأس بها . وهو، فيما
نعهد، خير كتاب من نوعه في العربية .

واما الثاني فله سراج الملوك في سياسة السلطان ونظام الدولة، وصفات الوزراء
والجلساء، وعلاقة السلطان ببيت المال، وغير ذلك مما يختص بسياسة الرئيس وشروط
السيادة .

التاريخ والجغرافية

ومنها التاريخ والجغرافية، فقد كان لهما حظ وافر في الاندلس، ولاسيما الجغرافية
فانها نهضت نهضة لم تلق مثلها في الشرق، اذ تحسنت بحوثها، ووضعت لها الخطط
المنظمة . واما التاريخ فان اصحابه كانوا كالمشاركة يذكرون الحوادث والاخبار
والخرافات من غير نقد ولا تمحيص .

(١) الفصل، جمع فصلة: النخلة المنقولة من محلها الى محل آخر لتثمر . (٢) هو ابو
بكر محمد بن الوايد القرشي الفهري، ويعرف بابن ابي رندقة . والد بطرطوشة (وقد
تفتح الطاء الاولى) من بلاد الاندلس حوالي سنة ٦٥١ هـ . (١٠٥٩ م) واليهما نسب .
وتأدب على ابن حزم باشيلية، ثم رحل الى الشرق، ومات باسكندرية سنة ٥٢٠ هـ . (١١٢٦ م) .

واسهر المؤرخين ابن القوطية^(١)، وله تاريخ الأندلس من الفتح الى سنة ٥٢٨٠ هـ. (٨٩٣ م). وابن الفرضي^(٢)، وله تاريخ علماء الأندلس. والمظفر بن الأفطس^(٣) صاحب بطايوس، وله المظفري، وهو تاريخ في خمسين مجلداً يشتمل على معازير وسير واخبار. وابو القاسم صاعد^(٤)، وله طبقات الامم في ذكر العلوم عندهم. وابن حيّان^(٥)، وله المبين في تاريخ الأندلس، ستون جزءاً؛ والمقتبس في تاريخها ايضاً، عشرة اجزاء. والقاسم بن خاقان، وله قلاند العقيان في ذكر الملوك والوزراء والقضاة والفقهاء والادباء. وله ايضاً مطمح الانفس ومسرح التانس في ملح اهل الأندلس؛ ذكر فيه من لم يذكرهم في القلائد. وابن بسّام^(٦)، وله الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة وادابها في القرن الخامس للهجرة. وابن بشكّوال^(٧)، وله الصلة وهو تكملة تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، في مجلدين. والبياسي^(٨)، وله كتاب الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام؛ ابتداء فيه بمقتل عمر بن الخطاب، وختم بجروج الوليد بن طريف الشاري على هرون الرشيد، وهو في مجلدين. وابن الأبار القضاعي^(٩)، وله تكملة الصلة؛ ذكر

- (١) هو ابو بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية نسبة الى جدته سارة حفيدة غيطه ملك القوط. ولد بقرطبة، وبرع في اللغة والحديث والاحبار واخفظ؛ وتوفي بقرطبة سنة ٥٣٦٧ هـ. (٩٧٧ م). (٢) هو ابو الوليد عبدالله بن محمد الازدي الفرضي ولد بقرطبة سنة ٥٣٥١ هـ. (٩٦٢ م) ورحل الى القيروان ومصر، ثم تولى قضاء بلنسية حتى مات سنة ٥٤٠٣ هـ. (١٠١٢ م). (٣) هو المظفر بن الأفطس من ملوك الطوائف توفي سنة ٥٤٦٠ هـ. (١٠٦٧ م). (٤) هو ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد قاضي طليطلة؛ ولد في المريّة سنة ٥٤٢٠ هـ. (١٠٢٩ م) وتوفي سنة ٥٤٦٢ هـ. (١٠٦٩ م). (٥) هو ابو مروان حيّان بن خلف بن حيّان؛ ولد بقرطبة سنة ٥٣٧٧ هـ. (٩٨٧ م) وتوفي سنة ٥٤٦٩ هـ. (١٠٧٦ م). (٦) ابن بسّام الشنتمري توفي سنة ٥٥٤٢ هـ. (١١٤٧ م). (٧) هو ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكّوال الخزرجي الانصاري القرطبي؛ ولد سنة ٥٤٩٤ هـ. (١١٠٠ م) وتوفي بقرطبة سنة ٥٧٨ هـ. (١١٨٢ م). (٨) هو ابو الحجاج يوسف بن محمد الانصاري البياسي، منسوب الى بياسة بند في الأندلس؛ اشتهر بالحفظ والرواية. ولد سنة ٥٧٣ هـ. (١١٧٧ م) وتوفي بمدينة تونس سنة ٦٥٣ هـ. (١٢٥٥ م). (٩) هو ابو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي المعروف بابن الأبار، ولد في بلنسية وكتب لصاحبها محمد بن حفص، وتوفي سنة ٦٥٨ هـ. (١٢٥٩ م).

فيها اعيان الاندلس وادبها . وانه الحلة السيارة في اخبار المغرب من المائة الاولى للهجرة الى المائة السابعة ؛ تبدأ موسى بن نصير . وابن سعيد المغربي^(١) ، وانه المغرب في حلى المغرب ، في نحو خمسة عشر مجلداً ، ذكر به اخبار ملوك الاندلس والفاطميين والاشيدين وبني ايوب وسواهم . ولسان الدين بن الخطيب ، وله الاحاطة في تزيخ غرناطة ، ثلاثة اجزاء ، يفتتحه بقسم جغرافي ، خطط فيه ولاية غرناطة وما يتبعها من القرى ، وذكر عادات العلماء وازياءهم ، والجند وسلاحهم ، ومن نزل غرناطة من القبائل . وذكر ملوكها ووزراءها وقضاتها وفقهاءها وادباؤها وزهادها ، ومتصوفها منذ الفتح الى زمنه .

واشهر الجغرافيين ابو عبيد البكري^(٢) ، وله معجم ما استعجم ؛ وهو معجم جغرافي للمواضع التي ورد ذكرها في اشعار العرب ، وله ايضاً المسالك والممالك . والشريف الإدريسي^(٣) ، رأس الجغرافيين ، وله نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، صنفه لروجر الثاني ملك صقلية مطابقاً لكورة من فضة نقش عليها صور الاقاليم السبعة ببلادها وبحارها وانهارها ومسافاتها . وزاد على ما في الكورة وصف احوال البلاد كعمارتها ، واجناس نباتها ، وصناعتها وتجارها ، واشكال اهلها ومذاهبهم وازياهم ولغاتهم . وجغرافية الادريسي اعتمد عليها الاوربيون قدماً في تقويم البلدان ولاسيا الشرق . وذكر جرجي زيدان^(٤) انه : « يؤخذ من خريطة محفوظة في متحف سان مرتين بفرنسا ان الادريسي كان على بيثة من حقيقة منابع النيل فصورها بجيرات عند خط الاستواء . كالتي اكتشفها اهل هذا التمدن في القرن الماضي - نعني فكتوريا نيانزا

(١) هو ابو الحسن نور الدين علي بن موسى بن سعيد ولد بقرناطة سنة ٥٦١٠ . (١٢١٣م) ورحل الى مصر والعراق والشام ، ودون ما شاهده في كتب عديدة . توفي سنة ٦٧٣ هـ .
 (٢) هو عبدالله بن عبد العزيز البكري اصله من مرسية ، وسكن قرطبة ؛ توفي سنة ٤٨٧ هـ . (١٠٩٤ م) .
 (٣) هو ابو عبدالله محمد بن محمد الادريسي العاوي ولد بستة سنة ٤٩٣ هـ . (١٠٩٩ م) وتشف بقرطبة ، ورحل في البلاد ثم اتصل بروجر الثاني ملك صقلية ووضع له جغرافيته الشهيرة . توفي سنة ٥٤٨ هـ . (١١٥٣ م) .
 (٤) جرجي زيدان : تاريخ اداب اللغة العربية . ج : ٣ ص : ٨٥ .

والبرت نياتزا - رسمها الادريسي قبلهم بآت من السنين « ٥٠٨هـ وابن جبير^(١) وله كتاب رحلته، وصف به ما شاهده من عجائب البلدان وبدائع صنائعها، ومساجدها ودواوينها واحوالها .

الفنون والصنائع

اقبل الاندلسيون على الفنون المختلفة يتعاطونها، فنهضوا بها، وبلغوا غاية الاتقان والجمال في بعضها . وكان لهم عناية فائقة بالعمارة، فقد مزجوا الفن العربي بالقوسي، واستخرجوا منها طرازاً مستغرباً رائعاً لا تزال آثاره ناطقة في القصور والمعابد وحسبك جامع قرطبة، وقصر إشبيلية، وحمراء، غرناطة، فانين من اعاجيب الزمان .

وشغفوا بالنحت والتصوير، فزينوا قصورهم وحدائقهم واحواضهم بالتماثيل والصور، ونقشوها على اوانيهم واثاثهم؛ حتى انهم نقشوا على اسطوانة في جامع قرطبة عصا موسى، وعلى اخرى اهل الكهف، وعلى غيرها غراب نوح .

ولما بنى الناصر الزهراء، وسماها باسم جاريتته الحسناء، نقش صورة الجارية على باب المدينة، وانشأ في المدينة حوضاً عظيماً زخرقه بالنقش والتصوير، ونصب عليه اثني عشر تمثالاً في صورة الانسان .

وبلغ من تقدم الفنون عندهم انهم حاولوا الطيران فنجحوا بعض الشيء، فقد

(١) هو محمد بن احمد بن جبير الكتاني ولد في بلنسية سنة ٥٣٩ هـ . (١١٤٤ م) ودرس على جماعة من الادباء والعلماء، وبرع في الشعر والادب، وسكن غرناطة، ثم اوقع بالاسنار فرحل رحلته الاولى الى مصر والشام والحجاز والعراق وصفليية، وتفقد الاثار والصنائع واحوال البلدان واعلها ثم عاد الى غرناطة، وصنف رحلته المشهورة . ورحل ثانية بعد ان فتح صلاح الدين الايوبي بيت المقدس، وعاد الى غرناطة ثم انتقل الى سبتة . ورحل ثالثة من سبتة الى مكة في بيت المقدس، ثم تحول الى الاسكندرية فاقام بها يحدث حتى مات سنة ٥٦١ هـ . (١٢١٢ م) . وطبعت رحلته الاولى في ليدين، وترجمت الى الايطالية، وترجم قسم صفليية الى الفرنسية .

حدثنا صاحب نفع الطيب ان ابا القاسم عباس بن فرناس^(١) : « احتل في تطيير جثائه، وكسا نفسه الريش، ومدّ له جناحين، وطار في الجو مسافة بعيدة، ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في مؤخره، ولم يدرك ان الطائر اذا يقع على زركته^(٢)، ولم يعمل له ذنباً . » اهـ .

وكان مؤمن بن سعيد الشاعر معاصراً له فقال فيه من ابيات :

يَطْمُ عَلَى الْعَنْقَاءِ فِي صَيْرَانِيهَا، إِذَا مَا كَسَا جُثَانَهُ رِيشَ قَشْعَمٍ^(٣)

(١) عاش ابن فرناس في القرن الثالث للهجرة زمن اماره محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الاموي . ملك من سنة ٢٣٨ - ٢٧٣ . هـ (٨٥٢ - ٨٨٦ م) وله فيه شعر حسن رواه ابن عبد ربه في العقد . (٢) الزرّ ملك : تمت ذنب الطائر . (٣) يطم : يعلو ويغلب . القشعم : النسر العتيق المسن .

الادب والادباء

المنجاء . الادبية . العقد القريد . جمع اداب . اندلس .
الذخيرة . قلائد العقيان . نقد الادبي . التوايح والزوايح .

كان للانديسين قسط وافر في الادب نال منه خاصتهم وعامتهم ، نساؤهم
وصبيانهم . واستهواهم الشعر الجاهلي ، فحفظوه ورووه ، فأيد فيهم ملكة البلاغة .
وانصرف منهم طائفة الى تصنيف المجاميع الادبية ، فمنهم من جمع اداب الشرق دون
ان يلتفت لفت بلاده الا في الذرة كابن عبد ربه صاحب العقد ، فان كتابه اقدم مجموعة
ظهرت في الاندلس ، ومن اوائل المجموعات الادبية عند العرب ، وفي مقدمتها جميعاً .
ولكنه عني باخبار شعراء الشرق وخطبائه ، وكتابه ، ومغنيه وقيانه . واورد جمهرة
من اقوالهم ونواديرهم وملحهم ؛ ولم يرو شيئاً لأدباء الاندلس الا ما كان من قوله .
وقلما روى لغيره في معرض كلامه على مالوك بني امية بقرطبة ، فكأنه لم يجد في عصره
اديباً اندلسياً يستحق الذكر ؛ وهذا ما حمله صاحب بن عبّاد على ان يقول عندما
اتتهى اليه العقد : « هذه بضاعتنا ردت اليينا . »

ويشتمل العقد على اخبار واقوال ونوادير لا تجدها الا به ، ولولاه لذهبت ضياعاً .
وفيه لمحات تاريخية عن الخلفاء والملوك والامراء وايام العرب في الجاهلية . وفيه فصول
في العروض والطب والاحيان . وهو خمسة وعشرون كتاباً باسم خمس وعشرين جوهرية
من جواهر العقد ؛ اولها كتاب اللؤلؤة في السلطان . وانشاؤه بليغ مطبوع مرسل ، فيه
ايجاز ووضوح وبهاء . طبع في ثلاثة مجلدات ، ثم في اربعة .

ومنهم من جمع اداب اهل الاندلس دون سواهم كابن بسّام في الذخيرة . والفتح
ابن خاقان في قلائد العقيان ، ومطمح الانفس . وابن بشكّوال في الصلة . غير انهم
خلطوا اخبار الادباء باخبار الملوك والوزراء والفقهاء وسواهم ، واكثروا من ذلك ،
فغلبت على كتبهم الصبغة التاريخية .

ويؤخذ عليهم أنهم اعتمدوا الصناعة في انشاء مجاميعهم، فافسدوها بتكلفهم،
ولاسيما الفتح في قلائده . ولم يكن لهم يد ضوى في النقد إلا ما كان من احكام
شاملة ليس فيها غناء .

والنقد في الاندلس لم يرتفع له شأن الا عند ابي عامر بن شهيد، حتى انه فاق
نقد المشرقين في بعض نواحيه . لان ابا عامر سلك طريقاً في كتابه التوابع والزوابع^(١)
لم يسلكه واحد منهم، فكان ينظر في نقده الى نفس الاديب، واعضاء جسده .

والتوابع والزوابع تحفة من تحف الادب، لم يبق منه الا فصول اوردها ابن اسام
في الذخيرة؛ وهو قصص ادبية خيالية يجتمع فيها ابن شهيد بالادباء، وينتقدهم
ويعارضهم في منظومهم ومنثورهم . ويكون ذلك بان يطير الى ارض التوابع والزوابع
مع جني يقال له زهير بن ثمر، يركبه على ادهمه، ويزيده شياطين الشعراء والكتاب،
فتجري بينه وبينهم مساجلات ومناظرات، فمنهم من يجلهم ويعترف بفضلهم شأنه مع
عُيَينة بن نوفل صاحب امرى القيس، فانه تيبب الانشاد في حضرته، وهم بالخيصة .
وشأنه مع حسن الدنان شيطان ابي نواس، فقد ادركته منه الهيبة، واخذ في اجلاله
لمكانه من العلم والشعر . ومنهم من يخزيهم ويخذلهم كما جرى له مع ابي الطبع
طوق بن مالك تابع البحري، فانه باراه في الانشاد، فاسود وجه ابي الطبع، وكر
راجعاً ولم يسلم . وكما جرى له مع زبدة الحقب جني بديع الزمان، فانه عارضه في
وصف الماء، فلما سمع زبدة وصفه، غار في الارض وهو مهتوت خجل .

ويتخلل تلك الاقاصيص آراء في النقد متعددة، فمنها كلامه على تأثير النفس في
الانشاء وهذا لم يسبق اليه فيما نعهد . قال : « مقدار طبع الانسان انما يكون على
مقدار تركيب نفسه مع جسده . فمن كانت نفسه مستولية على جسده من اصل
تركيبه، كان مطبوعاً روحانياً، يُطلع صور الكلام والمعاني في اجمل هيأتها، واروق
لباساتها . ومن كان جسده مستولياً على نفسه من اصل تركيبه، كان ما يُطلع من

(١) التوابع : الجن الذين يقعون الانس، واحدها تابع وتابعة . الزوابع : جمع زوبعة
وهي اسم لشيطان، او رئيس الجن .

الصدر ناقصاً عن الدرجة الاولى في التأم والكامل . « اه . ومنها قوله في تأثير تركيب الاعضاء : « انهم يُدركون بالطبيعة ، ويقبِرون بالآلة . وتقصيرهم بالآلة هو من طريق العلل الداخلة من فساد الآلة القابلة الروحانية ، والخادمة لآلات الفهم ، والباعثة لوقيق الدم في الشريان الى القلب . وزيادة غنظ اعصاب الدماغ ، ونقصانها عن المقدار الطبيعي ، وما يعين على ذلك بالحس وطريق الفراسة ، من فساد الآلات الظاهرة كقرطحة الرأس وتسفيطه^(١) وُنتوء القمَحْدُوَّة^(٢) ، والتواء الشدق ، وخرز العين^(٣) ، وغنظ الأنف ، واتزواء الأرنبة^(٤) . « اه .

ومهما يكن في هذه الاحكام من غموض ومجازفة مجولان دون اتخاذها قواعد . مطردة ، فانها دون شك خطوات مباركة خطاها ابن شهيد في مبيع النقد الحديث .

(١) قرطحة الرأس : عرضه . تسفيطه : محاكاته للسفط وهو وعاء كالقفة .
 (٢) القمَحْدُوَّة : مؤخر القدال . (٣) خزر العين : انكسار بصرها وضيقها وصغرها ،
 او نظرها بأحد الشفين ، او حولها . (٤) الارنبية : طرف الانف . واتزواء الارنبية تجمعها
 وتقبضها .

عصر الانحطاط

(١٢٥٨ - ١٧٩٨ م و ٦٥٦ - ١٢١٣ هـ)

« يتتدى باستيلاء هولاء كو على بغداد »

« وينتهي بدخول نابوليون الاول مصر . »

فصول ابعث وانراضه

لمحة تاريخية

تفاقم الويلات . فيض العناصر العجمية . ميزة العصر .

الشعراء المحدثون (عصر الانحطاط)

ميزة الشعر .

الكتاب المحدثون (عصر الانحطاط)

ميزة النثر . انشاء المترسلين . انشاء المصنفين . العلوم والآداب .

ملحة تاريخية

تفاهم الويلات فيض العناصر العجمية

اخروب والويلات . تخدير العقول . تكرار العناصر
الاعجمية . الخمدار اللغة . عند بني عثمان .

تركنا العصر العباسي الرابع^(١)، والممالك الاسلامية نهبه الناهب، يتداولها الغزاة والفاخون، ويقوض عمرانها المغول المكتسحون، وتنتشر فيها العناصر العجمية انتشاراً مروّعاً، يتضاءل دونه العنصر العربي حتى يكاد يذوب ويضمحل . ولبسنا هذا العصر متروفاً بالدماء، محفوقاً بالارزاء، ما تقر به عين، ولا يهدأ خاطر، لا تطمئن نفس، ولا يهجع ناظر . السيوف بين الهام والاعناق، والرماح في النجور والترائب . البلاد فريسة للبشق والتحريق، والنهب والتهديم . النساء مردفات، والاطفال بين سبي وذبح . للمغول بفارس يشنون الغارات على العراق والشام، ويوغلون في البلاد قتلاً وتخريباً، ويتعشون الذعر امامهم، فينبعث كالوباء المنتشر . فما تناسى الناس هولاً كوفظائعه، الا ليلتوا بتمورلنك ومجازره^(٢) . والفرنجة بفينيقية وفلسطين يقتحمون الديار المصرية والشامية . والماليك يجهدون في دفعهم عنها، ولكنهم يختلفون فيما

(١) ادباء العرب ج ٢ . ص ٤٤٣ . (٢) قصد تيمورلنك المغولي سورية سنة ٨٠٣هـ . (٣٠٠٠ م) وخرّب حلب وحمص وحمّة وبعبك ودمشق، وقتك باهلينا، واحرق الجامع الاموي، وكثيراً من المعابد والمدارس، وسبي النساء، وداس الاولاد نجيه وبقره .

بفبهم على المال والسلفان فبفحبون؁ وفتبذابجون؁ وفتفانون . والكرب واءامن بفسابلون من الشمال مففرين عاففن؁ ثم فعودون بالسبابا والغناثم .

فلك حالة مصر وسورفة والعراق فف هذا العصر . واما جزفرة العرب؁ والمغرب ففقد كان فبنازعهما دول صغيرة ففحص وفتحاب؁ فما اطمأن عرش بوافدة الا فنتقل الى فرها . واما الاندلس ففقد فلت مرابها من المسلمين بعد ان شردهم الفرنجة عنها . وفف منسلخ القرن السابع للهجرة؁ شهدت اسفة الصغرى دولة مسلفة ففة فرف ملك السلاجقة المظم؁ وفتقم على فففاضه عرشاً تركفياً لبني عثمان ثم لا فلبث ان فتمو وفتدفع وفتشد ساعدها؁ ففغزو ففتسع ملكها؁ ففتوغل فف بلاد الروم فف ففتفتح القسطنففنة سنة ٨٥٧ هـ . (١٤٥٣ م) وفتجعلها عاصمة لها .

ثم فقوم احد سلاطفنها سلم الاول؁ ففولف ووجهه شطر الشرق ففغزوه سنة ٥٩٢٢ هـ . (١٥١٦ م) وفتدفع سورفة ومصر من افدف الممالفك الشراكسة؁ وفتلجع المتركل على الله الفلفة العباسف؁ وفاءذ منه الرافة والبردة والسفب ومفافتفح الحرمفن . ففتنتقل الفلافة للمرة الاولى من العرب بل من قرفش الى الاتراك .

ثم فتمد سلطان العثمانفن الى سائر البلاد العربية كالعراق والحجاز واليمن وتونس والجزائر؁ وفتستعمل عليها ولاة من الاتراك .

ففر عجب ان فكون ففوالف الفروب والمحن؁ وفتقتفل العلماء؁ وفتحرفق المكاتب؁ رففاهم العناصر العجبفة؁ واستبداها بالاحكام؁ اثر بلفغ فف ففخفر العقول؁ وخط لاداب والعلوم . ولولا ان هؤلاء الاعاجم اسلموا؁ وكان فبهم حاجة الى العلوم لما سلمت لغة القرآن .

على ان مصر والشام كانتا قبل ان فستولف علفهما بنو عثمان؁ مباءة الادبا . والعلماء لهاربفن من وجه المغول؁ او من وجه الفرنجة فف الاندلس . ذلك بان الممالفك؁ وان لم تكن لهم آصرة على اللغة العربية؁ عطفوا علفها؁ وقربوا اصحابها فشبها باسفادهم لاوبفن . ولكن ضعفهم ففها جعلهم ففثرون الازجال العامة على الشعر الفصفح؁ فلب القوالون على الشعراء؁ والعامة على الفصحف .

وكان بالشام فضلة من الايوبيين عطفوا على اللغة وآدابها، كالمك المؤيد صاحب حماة، وهو الاديب المؤرخ المعروف بابي الفداء^(١). الا ان سلطانهم كان ضعيفاً بالاضافة الى سلطان المماليك المنتبسط على القنطين معاً، فلم يكن تأثيرهم بليغاً كتأثير اولئك .

وعلى الجملة فان اللغة لم تنحدر في عهد المماليك انحدارها على عهد بني عثمان لاسباب : منها ان دولة المماليك كان وطنها عربياً . اما دولة العثمانيين فوطنها عجمي . وكان المماليك اهل جهالة جهلاء لا يعرفون غير السيف والحرب، فلم يستغنوا في تنظيم دولتهم عن علوم العرب وآدابهم، فاكثروا المدارس في مصر والشام، وقرروا العلماء ليؤلفوا لهم، ويتولوا امور دواوينهم . وكذلك العثمانيون كانوا كالمماليك في جهلهم وخشوتهم، الا انهم تحضروا بعد ان فتحوا القسطنطينية واتخذوها قاعدة لملكهم، وتحضرت لغتهم شيئاً فشيئاً بما افادت من العربية والفارسية واللغات الاوربية . واصبحت صالحة للعلوم والآداب، فاعرضوا عن لغة العرب، وكانوا قد اعتمدوا عليها برهة من الزمن، وجعلوا التركية لغة رسمية في جميع الولايات العثمانية . ولم يستنوا الولايات التي تعمرها العناصر العربية، فانهم استعملوا عليها حكماً من الترك، يرفعون شأن لغتهم، ويسعون في تترك العرب، واضعاف عصيتهم . فهبطت اللغة في عهدهم هبوطاً مشؤوماً، وفسدت ملكة البلاغة، وتصلبت اذهان الادباء، وخيم عليهم نخول كسبات عميق، لا يستفيقون منه الا على مدافع نابوليون في مصر، ونواقيس الاديبار في شفاف لبنان .

(١) هو السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل الايوبي ولد بدمشق سنة ٦٧٢ هـ . (١٢٧٣ م) وكان عالماً فاضلاً مؤرخاً اديباً، ولاء حماة الملك الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر . ثم ارسل اليه شعار السلطنة، واطلق يده في دولته . توفي سنة ٧٣٢ هـ . (١٣٣١ م) وتلك حماة بعده ابنه الملك الافضل ناصر الدين محمد .

میزة العصر

الهول والفساد، الاستبداد، الضغط على حرية الفرد والجماعة .

عصر یصبغه الهول والذعر والفساد من جميع نواحيه، عصر تقتیل العلماء، واتلاف الكتب، وتخریب المدارس . عصر لم یبق فيه هولاً كمن رمق الا لیجهز علیه تیمورلنك . ولم یعن المالیک فی ارهاق العرب الا لیوطنوا العقاب للعثمانيين انشاء جلدتهم، فیعمد هؤلاء الى بذر الشقاق فی الطوائف خشاة ان يتواطؤوا على شق عصا الطاعة . فاقترفت من اجل ذلك المظالم، وارتكبت المحرمات، واحل القتل والترويع، ودبت عقارب السعايات والفسائس، واستعبدت الافكار، وحطمت الاقلام، وخنقت حرية الفرد والجماعة . فذل العرب، وتفرقت كلمتهم . وكان هذا العصر اسوأ العصور علیهم .